دور الإمام الخميني التربوي للأمة

بقلم / الدكتورة نجلاء مكاوي (باحثة في التاريخ السياسي المعاصر)

يُعَدّ الدور التربوي هو الأبرز في فكر الإمام الخميني، وذلك للرقي بالأمة والخروج بها من الظلمات إلى النور، ألا وهو تزكية النفس , ذلك ما أكدته الأستاذة زينب إبراهيم في دراستها عن الأسس التربوية لدى الإمام الخميني في مجلة المنطلق، فلقد كان حفظ الإسلام همّاً يسيطر على حياة الإمام، وقد قدّم في سبيل هذا الهدف عمره الشريف الذي أمضاه ما بين اضطهاد وتعذيب وسجن ونفي من بلد إلى آخر وحرب وأذى في الأمة والنفس والأبناء الجسمانيين منهم والروحانيين، ولسان حاله يقول ما قاله سيد الشهداء أبو عبد الله الحسين (ع): "هون ما نزل بي أنه بعين الله"، والإمام أكد في وصيته هذا الأمر بصريح العبارة "فحفظ الإسلام هو أهم جميع الواجبات، ولأجله جاهد وضحى غاية التضحية الأنبياء العظام من آدم (ع) إلى خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم، لم يصدهم عن أداء هذه الفريضة الكبرى أي مانع، وتابع الأنبياء على ذلك الصحابة المؤمنون وأئمة الإسلام عليهم صلوات الله أجمعين؛ سعوا بكامل الجهد، حتى التضحية بالنفس من أجل القيام بهذا الواجب.

لقد أيقن الإمام أن الإسلام دين التهذيب، والقرآن كتاب تربية الإنسان، واتباع تعاليمه والتخلق بأخلاقه يعني الوصول بالإنسان إلى منتهى كماله، وأن الأنبياء الكرام (ع) إنما جاءوا ليهدوا الناس إلى الطريق الذي يصل إلى ذلك الكمال، وليتمموا مكارم الأخلاق، وليزكوا النفس، وقد ورد في محكم الكتاب المبين {هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم}، وجاء في الحديث الشريف: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"، كما وأيقن الإمام (طيب الله ثراه) أن تربية النفوس وتزكيتها أهم طريق لحفظ الإسلام؛ إذ أن التزكية تعني تحول الإنسان إلى قرآن مشخص، وبها يحفظ الإسلام، ليس في الكتب والمقالات بل في النفوس والقلوب، ولولا هذا الأمر لما عدّه الشارع هدف الأنبياء.

لقد انكشف هذا السر للإمام (رض) فقال: "مِن أهم وأسمى العلوم التي يجب تعميم تدريسها ودراستها هي العلوم المعنوية الإسلامية: كعلم الأخلاق وتهذيب النفس والسير والسلوك إلى الله"، ولَمّا تكشف لسماحته الأمر جعله قبلة يمم الوجه شطرها، فعرج إلى أعلى مراتب العرفان، كما وجه الأمة نحوها.

وقد جاء في الكتاب الكريم {إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم}، فتغيير ما بالنفس وتهذيبها شرط لازم لتغير حال الأمة ورقيها، لذا نجد أنه ما من نداء أو خطاب وجهه الإمام للأمة إلا وفيه كلام أو إشارة إلى التزكية وضرورة التربية وتعلم علم الأخلاق؛ فهذا الإمام يقول: "التقوى.. التقوى.. تزكية النفس.. الجهاد مع النفس.. زكوا أنفسكم جميعاً.. تعلموا من التعاليم العالية للإسلام.. الإسلام يصنع الإنسان، والأجانب والقوى العظمى يخشون الإنسان، ويقاومون الإسلام لأنه مدرسة لتربية الإنسان".

لقد أيقن الإمام أن الإسلام دين التهذيب، والقرآن كتاب تربية الإنسان، واتباع تعاليمه والتخلق بأخلاقه يعني الوصول بالإنسان إلى منتهى كماله، وأن الأنبياء الكرام (ع) إنما جاءوا ليهدوا الناس إلى الطريق الذي يصل إلى ذلك الكمال، وليتمموا مكارم الأخلاق، وليزكوا النفس

الإمام (رض) بمجاهداته الروحية ورياضاته النفسية وإخلاصه وصفائه وعبوديته لله سبحانه وتعالى أصبح "قطباً" ومعلماً، والأمة التي وثقت به تحولت إلى "مريد" أسلمت له القيادة لتسلك بفضل تعاليمه وإرشاداته الطريق المستقيم، وكثيراً ما كان الإمام يردد أن من يجعل الإسلام هدفاً لحياته ينبغي له أن يقاوم الانحرافات والأخلاق السيئة والذميمة وإبدالها بأخلاق حسنة وتحويل الانحرافات إلى استقامة.

ولكن ما هي نقطة البدء والانطلاق؟ ما هي الجهة التي يجب التوجه إليها أوّلاً؟

يجيب الإمام على السؤال المطروح بقوله: "على الإنسان أن يبدأ من نفسه فيلاحظ انحرافاته الشخصية، لا شك أن كل إنسان يرى في نفسه عيوباً، وقليل من لا يرى عيب نفسه، وهذا أحد العيوب، على الإنسان أن يتربى وأن تكون تربيته بتزكية نفسه، على الإنسان أن يبدأ من نفسه ثم من عائلته، فابدؤوا من عوائلكم لتصلوا إلى الذين في الخارج".

إذن.. نقطة البدء والجهة الأولى التي يجب أن نتجه لتهذيبها وتزكيتها - كما قال مربي العصر - هي الذات؛ إن إصلاح الذات مقدمة ضرورية لإصلاح ما في الخارج، والإمام (رض) تابع حركة المنهج هذه في توجهه إلى موضوعات التربية، فبدأ بشخصه الكريم ونفسه فهذبها وأحسن تهذيبها وتزكيتها، ورأى أن من يريد أن يتصدى لأمر فلا بد أن تكون أقواله وأفعاله وتقريراته موافقةً لما يدعو إليه، وإلا فقد مصداقيته كما أوضح (رض): "فعندما أدعوكم أنا إلى ترك عمل ما أو القيام بعمل ما لا يكون لهذا العمل أي تأثير إذا كنت أنا فاسداً"، ثم إنه يستحيل على إنسان غير مربٍّ أن

العالم الشهيد سعيد كاظم
اشتياني - استشهاد عام ٢٠٠٤

العالم الشهيد حسن طهراني
مقدم- استشهاد عام ٢٠١٠

العالم الشهيد محسن فخري
زاده - استشهاد عام ٢٠١٩

يتصدى لتربية الآخرين وتزكيتهم؛ إذ أن فاقد الشيء لا يعطيه.

إذن.. فموضوع التربية الأول هو الذات كما مر، يليه تربية العائلة، وقد استشهد الإمام على ضرورة هذا النهج في التوجه بقوله: "عندما بعث بالرسالة (النبي صلى الله عليه وآله وسلم) بدأ التغيير من بيته، فدعا السيدة خديجة، وهي قبلت بذلك، والإمام علي (ع) - والذي كان طفلاً يومذاك - قبل الدعوة أيضاً، ثم جمع الرسول أقرباءه ودعاهم للرسالة" حسب الأمر الإلهي، والإمام تابع الأمر الإلهي الموجه إلى جده رسول الله (ص) وتوجه إلى عائلته مربياً ومهذباً، فسقاهم حب الإسلام وبذر فيهم بذور الأخلاق الإسلامية، لذا نرى أنهم نساءً ورجالاً قدَّموا الأنفس والأموال وعانوا النفي والتعذيب من أجل الإسلام والأمة.

ثم إن الإمام - وحتى آخِر أيام حياته - كان يؤكد ويشدد النصح لعائلته للتمسك بالأخلاق الإسلامية العالية، وبهذا الخصوص ذكرت السيدة مصطفوي - ابنة الإمام - للوفود النسائية التي شاركت في أربعين الإمام - أعلى الله مقامه - أن الإمام جمع عائلته قبل يومين من وفاته وقال لهم: "إن الحياة طريق صعب، فأرجو ألاّ تقعوا بمعصية.. أوصيكم بعدم الاستغابة وعدم السخرية، ولا تحتقروا أحداً.. لا تحزنوا من بعدي، واصبروا على ذلك".

ثم إنني سمعت زوجة الإمام (رض) عندما زرنا بيت الإمام في الذكرى العاشرة لانتصار الثورة الإسلامية في إيران تقول: "إن الإمام يوصينا دائماً بالمحافظة على الصلاة"، حينها تعجبت للأمر، وقلت إن محافظة أهل بيت الإمام على الصلاة أمر مؤكد، فلماذا هذه التوصية؟! لعل في الأمر خطأ في الترجمة، إلا أنني أدركت فيما بعد أن وصية الإمام هي هذه وليس من خطأ في الترجمة، فالصلاة كما يراها الإمام معراج المؤمن، والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وانطلاقاً من هذه الأهمية للصلاة ودورها في حركة الإنسان باتجاه خالقه وتربيته أوصى بها الإمام (رض).

إذن مما مر سابقاً نلاحظ أن الوصية الأخيرة التي أوصى بها الإمام عائلته هي وصية أخلاقية، الأمر الذي يؤكد ما ذهبنا إليه من أن تربية النفس هي الطريق الأقوم لحفظ الإسلام.

أمّا الجهة أو الموضوع الثالث للتربية والتزكية الذي توجه إليه الإمام (رض) كان الأمة الإسلامية بشكل عام والشعب الإيراني بشكل خاص، وركز على ضرورة تربية وتزكية نفوس أولئك الذين يتولون قيادة الأمة؛ لأن خطر انحرافهم أشد وأعظم من خطر انحراف الأشخاص العاديين، وصلاح هؤلاء وتربيتهم تعمّ بركتها الجميع.

بعدما عرفنا التدرج في الجهاد المتوجه إليها في عملية التربية يطالعنا السؤال التالي: ما هي الخطوات العملية التي اتبعها الإمام (رض) في مسيرة التهذيب هذه بحيث استطاع أن ينقل أمة بمعظمها منتشرة في كل بقاع الأرض من ظلام الجاهلية إلى نور

نخبة الشهيد احسان قدبيكي - استشهاد سنة ٢٠٢٢

الإسلام ومن حضيض المادة إلى قدس الروح والمعنى؟

طبعاً لا يمكن للإنسان أن يصل إلى أي هدف في حياته بشكل عشوائي ودون برمجة وتخطيط، وليس للسائر في ظلمة الليل أن يهتدي إلى طريقه دون ضوء ولا يتعثر، كما ويستحيل على الإنسان أن يصبح طبيباً دون أن يتعلّم فن الطب ويتمرس به.. إن كل علم بحاجة إلى معلم مِن أخس العلوم إلى أشرفها، فكيف بعلم أرسلت الرسل من أجله أي علم الأخلاق؟!

قال الإمام: "إن كل علم في الدنيا وصنعته لا بدّ لهما من أستاذ وممارسة، وإن الإنسان الذي يسير على غير هدى ودون تخطيط لا يمكن أن يصبح متخصصاً في أي مجال.. كيف نؤمن بهذا ونؤمن في نفس الوقت بأن علم الأخلاق - الذي هو هدف إرسال الأنبياء والذي هو من أدق العلوم - ليس بحاجة إلى التعلم والتعليم؟! ".

وبناءً على ما تقدم رأى الإمام أنه لا بدّ مِن وضع مناهج لدراسة هذا العلم وإقامة جلسات الوعظ والإرشاد وتدريس علم الأخلاق بحيث تشمل هذه الدروس كل فئات الشعب ويتحول المجتمع والأمة بل والعالم إلى جماعتين: جماعة الأساتذة والمعلمين وجماعة الطلبة والمتعلمين، ومن أجل إتمام هذا الغرض دعا العلماء وطلبة العلوم الدينية ومدرسي التربية الإسلامية والمعلمين وكل من له علاقة بالتربية والتعليم لتزكية نفوسهم كمقدمة لتزكية وتربية الآخرين، كما ودعا الإمام (رض) كل من يريد تربية نفسه وتزكيتها لوضع برنامج لهذه الغاية ومتابعة دروس الأخلاق الشفوية منها والمكتوبة، كما وأكد على

الجهة أو الموضوع الثالث للتربية والتزكية الذي توجه إليه الإمام (رض) كان الأمة الإسلامية بشكل عام والشعب الإيراني بشكل خاص، وركز على ضرورة تربية وتزكية نفوس أولئك الذين يتولون قيادة الأمة؛ لأن خطر انحرافهم أشد وأعظم من خطر انحراف الأشخاص العاديين، وصلاح هؤلاء وتربيتهم تعمّ بركتها الجميع.

ضرورة الاستفادة من سير الأنبياء العظام والأئمة الأطهار والعلماء العاملين الأتقياء؛ فإن نهجهم وسيرتهم بحد ذاتهما مدرسة متكاملة في الأخلاق وجهاد النفس والخلوص في العبودية لله.

وبعد أن وضع الإمام الخطوط العامة لحركة دراسة علم الأخلاق شرع بالتصدي لعملية التعليم، متخذاً لذلك أساليب متعددة، فسيرة الإمام - مثلاً - وسيلة تربوية قائمة بحد ذاتها، إلاّ أن البحث لا يتسع للكلام عنها، وسوف نتناول في هذه الدراسة أسلوباً واحداً من أساليب الإمام التعليمية هو أسلوب الوعظ والإرشاد، وذلك من خلال الخطب التي كان يتوجه بها إلى الأمة في المناسبات المختلفة وبعض المحاضرات التي ألقاها على طلاب الحوزة العلمية في منفاه في النجف الأشرف. .

فكيف خاطب الإمام الأمة؟ وماذا علّمها؟

سبقت الإشارة إلى أن الإمام شدّد على ضرورة تعلّم علم الأخلاق وتهذيب النفس، إلاّ أن درسه الأول كان تحذيراً للمتعلمين والخاضعين لعملية التربية والتزكية من إبقاء هذه المعلومات في الذهن وتحويلها خزيناً للأدمغة؛ إذ لا بدّ أن تكون القلوب أوعية العلم، أي لا بدّ أن يتحول هذا العلم والخزين إلى سلوك وعمل وممارسة تظهر في حياة الفرد اليومية؛ لأن العلم بدون عمل هلاك للإنسان، بل قد يتحول العلم حجاباً بين الفرد وربه وحائلاً دون الوصول إلى طريق الهداية، وذلك عندما يصيبه الغرور والعجب بما يملكه من علم، أو يستخدم هذا العلم في غير مرضاة الله سبحانه وتعالى، ثم إنه ليس العلم وحده الذي قد يكون حجاباً بين الفرد وخالقه وسدّاً حاجزاً يحول بينه وبين الهداية وبلوغ مرتبة الإنسانية العالية التي أرادها له الباري عزّ وجلّ؛ فقد يكون أي شيء يصل إليه الإنسان أو يحوزه مانعاً من تحقيق الهدف إلاّ من تهذب بالتهذب الإسلامي وتربى بتربية دين التوحيد، وبهذا الصدد يلفت الإمام(رض) إلى أنه "عندما يحصل الإنسان على شيء يحصل لديه الغرور ويرى نفسه عظيماً، والإسلام جاء ليسحق هذا الغرور، وما دام الإنسان أنانيّاً لا يتمكن من الوصول إلى طريق الهداية، ففي البداية يجب أن يسحق هذه الشهوات وهواه النفسي"، وتابع قائلاً: "إن الحروب التي حدثت بين الأنبياء وغيرهم في الدنيا ليست سوى لأنهم كانوا يريدون الحد من جماح الناس وأن يسحقوا هذه الأنانيات".

الإمام من خلال تعاليمه للأمة شخص بيَّن ما يمكن أن يلوّث النفس ويكدرها ويحرفها عن فطرتها الأصلية، وذكرها مراراً وتكراراً، كما وبيَّن نتائجها الوخيمة على مستوى الفرد والأمة في الدنيا والآخرة، ومن هذه الكدورات ذكر الإمام(رض): الغرور، الكبر، العجب، النميمة، الغيبة، حب الذات والدنيا، الانقياد للشهوات، وغيرها من الأمور.

وقد عدّ الإمام (رض) هذه الأمور من الأمراض الروحية الخطيرة التي تقضي على الإنسان وتحوِّل الناس إلى وحوش كاسرة وبهائم، وتؤدي بالتالي إلى الخسران المبين، ففي حديثه للمربين يقول: "حذروهم (الطلاب) من الصفات الدنيئة التي توجب سقوط الإنسان في الهاوية: كحب الجاه والمال والمقام، ومن كل العوائق التي تمنع التقدم البشري، وعلموهم أن الإنسان ما دام منكبّاً على شهوات الطبيعة فإنه ليس إنساناً، وإن هؤلاء الذين همّهم المكاسب الدنيوية والعيش الهنيء إنما هم كالبهيمة

المربوطة همّها علفها، وأخرجوهم من عبودية غير الله إلى عبودية الله".

إن هؤلاء الذين همّهم الأمور الدنيوية الخسيسة والذين أعمالهم لا تنسجم مع الروح - وإنما جميعها في خدمة الجسد وتأمين ملذاته - هم كما يقول الإمام: مصداق قوله تعالى {إن الإنسان لفي خسر}، أمّا المؤمنون الذين عملوا على تهذيب أنفسهم وتأديبها وتكون أعمالهم منسجمة مع الروح ومع ما أمر به المولى وخالصة لوجهه فهم المستثنون في الآية {إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر}.

لقد عَدّ الإمام الذنوب أمراضاً روحية خطيرة، بل هي عنده من أخطر الأمراض التي يصاب بها الإنسان، والمشكلة مع هذه الأمراض أن المصاب بها لا يلتفت إليها ولا يسعى لمداواتها ومعالجتها، في الوقت الذي يستنفر عدداً كبيراً من الأطباء إذا ما توهم إصابته بمرض جسدي على حد تعبير الإمام، ويردّ هذا المعلم الجليل السبب في عدم المسارعة لعلاج أمراض الروح إلى عدم الشعور بألم يصاحبها، تماماً كما الأمراض الخبيثة؛ إذ أنها عادةً غير مصحوبة بالألم، وصاحبها لا يشعر بها إلاّ بعد فوات الأوان، وكذلك الأمر بالنسبة لأمراض الروح؛ فالإنسان لا يشعر بها إلاّ بعد انقضاء العمر، عندها يدرك مريض الروح معنى قوله تعالى {ووُضِع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحدا}.

إن الإمام الذي امتلأ قلبه حبّاً لله يذكّر الأمة بلقاء الله ويحذرها مغبة الأعمال السيئة والذنوب، بقوله: "أنتم إذا لم تصلحوا أنفسكم - لا سمح الله - وخرجتم من الدنيا بقلوب سوداء، وعيون وآذان وألسنة ملوثة بالذنوب، فكيف ستقابلون الله؟! هذه الأمانات الإلهية التي استودعكم الله إياها بمنتهى الطهارة والبراءة كيف ستردّونها بمنتهى القذارة والرذالة؟! هذه العين، وهذه الأذن اللتان هما في اختياركم، وهذه اليد وهذا اللسان هما في سلطتكم، هذه الأعضاء والجوارح التي تعيشون بها كلها أمانات الله العزيز المتعال، وقد أعطاكم إياها بتمام السلامة والطهارة، فإذا ابتليت بالمعاصي فإنها تتلوث وتتقذر، وآنذاك عندما تريدون إعادة هذه الأمانة قد تُسألون: أهكذا تُحفظ الأمانة؟! هل سلمناكم هذه الأمانات هكذا؟! القلب، العين، وسائر الأعضاء والجوارح التي جعلناها في اختياركم، هل كانت هكذا قذرة وملوثة؟! بماذا ستجيبون على هذه

الراحلة مرضية حديجي الدباغ ، الحارس الشخصي للإمام الخميني(قدس سره) والقائد العسكري في الحرب المفروضة بين إيران والعراق - توفيت عام ٢٠١٥

كان حفظ الإسلام همّاً يسيطر على حياة الإمام، وقد قدّم في سبيل هذا الهدف عمره الشريف الذي أمضاه ما بين اضطهاد وتعذيب وسجن ونفي من بلد إلى آخر وحرب وأذى في الأمة والنفس والأبناء الجسمانيين منهم والروحانيين، ولسان حاله يقول ما قاله سيد الشهداء أبو عبد الله الحسين (ع): "هون ما نزل بي أنه بعين الله".

الأسئلة؟! وكيف ستواجهون الله الذي ختم أماناته بهذا الوجه من الخيانة؟! ".

ويذهب الإمام إلى أن البشر إن كانوا غافلين عن أمراض الروح لأنها غير مصحوبة بالألم - بل غالباً ما تكون مصحوبة باللذة - فهل هم غافلون عن تحذيرات وتنبيهات الله - سبحانه وتعالى - والأنبياء والأئمة (ع) والعلماء الذين أكثروا من الكلام عن هذه الذنوب وعن الهاوية التي تجرّ إليها؟!

إن الله - سبحانه وتعالى - لم يترك خلقه يتخبط في معرفة الطريق، وتمييز الحق من الباطل، بل أنار لهم الطريق فأنزل لهم الكتب السماوية بواسطة الأنبياء، إضافة إلى العديد من المنبهات والموقظات، إلاّ أن الإنسان - هذا الجاهل الظالم، صاحب النفس الفرعونية - ما رأى إلاّ نفسه فأخلد إلى الأرض واتبع هواه، وغرته الدنيا بغرورها فانغمس بملذاتها الفانية البائدة، وأعرض عن ربه ونسي لقاءه واليوم الآخِر، معزياً النفس بما يلوكه لسانه من ألفاظ التوبة، غير أن: "التوبة لا تتحقق بلفظ أتوب إلى الله، بل إنها تتوقف على الندم والعزم على ترك الذنب".

لا يمكن للنفس - برأي الإمام - أن تتزكى وتقبل نور الهداية ما دام الإنسان غارقاً في عبوديته لذاته والزعامة والمال والجاه. .. إلخ، لا يمكن أن يصبح الفرد إنساناً ما لم يخرج من هذه العبوديات إلى عبودية الله ويكون حبه ظل محبة الله وبغضه في الله، وإلاّ أدى به غرقه في غير الله وحبه وعبوديته له إلى أسفل سافلين.

ويشرح الإمام(رض) الأمر بقوله: "إذا لم يهذب (الإنسان) نفسه وإذا لم يعرض عن الدنيا ويخرجها من قلبه فيُخشى أن يترك الدنيا وقلبه مملوء بالحقد على الله وعلى أوليائه".

جاء في الحديث أن الإنسان يولد على الفطرة والصراط المستقيم والتوحيد والإسلام، والإمام يشترط نموّ هذه الفطرة وتفتحها بالتهذيب وإلاّ ستكون عرضة للفساد، فقلب الإنسان يشبهه الإمام بالمرآة، وهو صاف ومضيء، ولكنه يتكدر ويتغبش نتيجة التكالب على الدنيا وكثرة المعاصي، والمشكلة أن الإنسان يستصغر المعاصي ولا يلتفت إلى من يعصي: "لا تستصغروا هذه الذنوب البسيطة؛ فإن عاقبتها خطيرة؛ لأن الإنسان الذي يمارس الذنوب تكون عاقبته عند الموت أن يكذب بالله وينكر آياته؛ قال تعالى {ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون}، وهذه النتيجة السيئة لا تحصل دفعة واحدة بل بالتدريج.. نظرة محرمة من هنا، وكلمة غيبة من هناك، وإهانة لإنسان مسلم من هنالك.. هذه المعاصي كلها تغرس في قلب الإنسان فتنمو وتسيطر عليه وتحوله إلى قلب أسود مظلم، وتَحُول بينه وبين معرفة الله إلى أن تكون النتيجة أن ينكر الحقائق الإيمانية ويكذب بآيات الله تعالى".

ويتساءل الإمام: لماذا ترتكبون هذه الذنوب؟! لماذا النميمة والغيبة والحقد والكراهية والحسد والخلافات خصوصاً في مجتمعات المسلمين؟!

إن السبب الأول لهذه الذنوب جميعاً هو التعلق بالدنيا، وهي مظاهر لها؛ لأن الأمور الأخروية "لا صراع عليها ولا اختلاف، وأهل الآخرة المترفعون عن سفاسف الدنيا يعيشون مع بعضهم بمحبة وصفاء، قلوبهم مملوءة بحب الله وعبادة الله، فمحبة الله سبب طبيعي لحب عباد الله المؤمنين، ومحبة عباد الله ظل محبة الله سبحانه".

ويذهب الإمام إلى أن الذنوب والأعمال القبيحة لا تؤجج نيران الدنيا فقط؛ بل هي نفسها التي تؤجج نار جهنم، وإن حركة جهنم مشروطة بعمل الإنسان نفسه، فإذا لم يفعل الإنسان ما يحرك نار جهنم ويؤججها يمكنه اجتياز الصراط دون أن تتلقفه النار.

أمّا السبب الثاني لهذه الذنوب: فهو عدم احتمال وجود الآخرة - حسب رأي الإمام - وبطلان الثواب والعقاب، وعدم الإيمان العملي بوجود الله؛ لأن المؤمن الموقن بوجود الله ووجود جهنم لا يتجرأ على القيام بأي عمل يسخط الله ويغضبه؛ لأنه يشعر عند أي حركة يقوم بها أنه بمحضر الله وعلى مرأى منه، وهذا مانع له من ارتكاب أي عمل شنيع، أمّا نحن فنتجرأ على الله ونتصرف في محضره بكل وقاحة؛ فنغتاب المؤمنين ونظلم العباد ونستعمل كل الأمانات التي استودعها الله عندنا في أذية النفس والآخرين، وبهذا الصدد يقول الإمام(قده): "إن الإنسان ليمتنع عن ارتكاب الذنب لوجود طفل مميز، إنه يمتنع عن كشف عورته أمامه، فكيف يا ترى يكشف عوراته بحضور الله سبحانه دون أيّ تورع أو خجل؟! السبب في ذلك هو الإيمان بوجود الطفل، ولذلك يجتنب الإنسان الذنب أمامه، وعدم الإيمان بوجود الله وحضوره؛ لأنه لو كان مؤمناً بحضور الله لاجتنب المعاصي وتورع عن ارتكاب المحرمات".

ثم يذهب الإمام أبعد من ذلك فيقول: إن الإنسان الذي يرتكب المعاصي والذنوب ليس فقط غير مؤمن ومتيقن من وجود الله وصحة الإخبارات التي وردت في القرآن الكريم عن وعده ووعيده؛ بل أكثر من ذلك هذا الإنسان لا يحتمل وجوده، وإلاّ لو احتمل لقاء ربه لتفكر في عمله وراقب أعماله واجتنب المعاصي كما يجتنب المرور في طريق يحتمل الخطر على حياته فيه.. قال الإمام بهذا الشأن: "إنكم لو احتملتم أن في طريق تريدون قطعه حيواناً مفترساً يمكن أن يهجم عليكم أو قاطع طريق يمكن أن يعترض طريقكم سوف تجتنبون ذلك الطريق حتماً، فهل من الممكن أن يحتمل إنسان وجود جهنم والخلود في نارها بكل صفاتها المذكورة في القرآن الكريم ومع ذلك يصدر منه ما لا يرضي الله سبحانه وتعالى؟! هل من الممكن أن تصدر المعصية من شخص معتقد بحضور الله ومراقبته للعباد؟! ".

لذا علينا جميعاً أن ننتبه ونتيقظ، ونخرج من جميع العبوديات إلى عبودية الله، وننبذ الأعمال السيئة، ونسارع في محاسبة النفس، ونعمل العمل الصالح قبل فوات الأوان وحضور أعمالنا أمامنا، وإلاّ سنكون من القائلين كما جاء في القرآن الكريم ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ* لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾، فيأتي جواب الباري ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

الإمام من خلال تعاليمه للأمة شخص بيَّن ما يمكن أن يلوّث النفس ويكدرها ويحرفها عن فطرتها الأصلية، وذكرها مراراً وتكراراً، كما وبيَّن نتائجها الوخيمة على مستوى الفرد والأمة في الدنيا والآخرة، ومن هذه الكدورات ذكر الإمام(رض): الغرور، الكبر، العجب، النميمة، الغيبة، حب الذات والدنيا، الانقياد للشهوات، وغيرها من الأمور.